

## الفصل الأول

«سمات دعوة الأنبياء والرسلك في القرآن الكريم»

مبحث تمهيدى

المبحث الأول: الدعوة إلى توحيد الله

المبحث الثانى: البلاغ المبين

المبحث الثالث: الصبر والحلم

المبحث الرابع: قواسم مشتركة في دعوة الرسل

obeikandi.com

## مبحث تمهيدي

تمثل أحداث قصص القرآن قطاعات متكاملة من حياة المجتمعات البائدة وتبين مناشطها المتنوعة، ومع أن قصص الأنبياء أبرز ما في القرآن من تاريخ - وللتاريخ أهميته في حياة الأمم العاقلة - إلا أن المحاور وزوايا الرؤية قد تعددت فيها، فبرزت إلى جانب الأنبياء شخوص قاوموا الحق وحاربوه أمثال: فرعون، الملك الذي حاج إبراهيم، أبو لهب،.. الخ، وشخوص آخرون قاموا بأدوار إيجابية في تأييدهم للأنبياء والرسل منهم: مؤمن آل فرعون، السحرة، أبو بكر، بلال.. الخ.

أما المؤيدون للرسالة عبر التاريخ فهم على الأغلب من الفقراء والمساكين والعييد، ولا يخلو الأمر من وجود مؤيدين من الطبقات الاجتماعية العليا في صف الرسول، وضمن صحابته التي صهرتهم الدعوة الجديدة، لتخلق منهم طبقة المبدأ، والعقيدة، فهما النسب الجديد لهذه الجماعة، ولهما الولاء، دون العشيرة والأهل. لقد عانى الأنبياء والرسل كثيراً من جفاء ذوي القربى، وعداوتهم لهم. فأحياناً كان العدو الابن، كإبن نوح عليه السلام، وكانت العدو الزوج، كزوج لوط عليه السلام، وكان العدو الأب، كأبي إبراهيم عليه السلام، وأحياناً أخرى كان العدو العم، وابن العشيرة، ويلاحظ من هذه المفارقة بين المؤيدين، والناقمين، أن النسب ليس ضرورياً وليس هاماً في الدعوات والرسالات السماوية في صفوف المؤيدين للرسالة، التي جاءت لتخلص الإنسان من عبادة أخيه الإنسان، والدعوة إلى

المساواة والعدل بين الجميع وذلك بعبادتهم لإله واحد.

إن المستكبرين الذين عارضوا الرسل، لم يكن موقفهم نتيجة لقساقتهم بكذب وبظلم ما يدعو إليه الرسول، بل لخطر هذه الدعوة عليهم، لأنها تسعى لإزالة الاستكبار والتأله البشري، والاستعباد، وبهذا يخسرون مراكزهم، وامتيازاتهم اللاشعرية في المجتمع، لذا لم يدنحروا جهداً أو وسيلة في سبيل إنهاء دعوة الرسول بأي صيغة كانت، سواء بالقتل أم بالتهجير فإذا فشلوا بالترهيب، فأنهم يطمعون أن يترك الرسول دعوته بتربيته بالمال والجاه، لأنهم يصورون الرسول لشعوبهم المغلوبة بأنه طالب ملك ومال! وما دعوته لعبادة الله، وترك الأصنام، إلا طمعاً في رئاسة وجاه. إلا أن رد الرسل وسلوكهم ينفي هذا الاتهام.

ونجد في قصص الأنبياء التنوع الموضوعي، من أمثله: الأساس العقيدي في قصة إبراهيم عليه السلام، بدعوته إلى توحيد الله، وهذا الأساس مشترك في دعوات الأنبياء والرسل جميعاً، والأساس الاقتصادي في قصة شعيب مع قومه، والصناعي في قصة داود، والقضائي في قصة سليمان، والتخطيطي في قصة يوسف، والتبشير والإنذار في قصة يحيى، والأخلاقي في قصة لوط، والروحي في قصة عيسى رداً على إيغال اليهود وقتلهم في المادية وحرفية النصوص والرسوم.

ثم تأتي الجهود المتكاملة في تكوين الفرد والأسرة والمجتمع، مكتملة لمسيرة التوحيد، مستفيدة من تراث النبوات السابقة، في سبيل حياة كلها عدل ومساواة، ضمن رسالة سماوية خاتمة لوحى السماء، تجلت في رسالة الإسلام، الذي جاء ححر الزاوية، وبه تم البناء الإنساني في أكمل صورة يمكن أن يحققها الإنسان على هذه الأرض.

لكن أحداث التاريخ التي ذكرت في القرآن جاءت مثلاً لا حصراً، لأن هناك تجارب بشرية، مع أنبياء، لم يرد ذكرهم في القرآن، قال تعالى: ﴿لقد أرسلنا

رسلاً من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك..»<sup>(١)</sup>.  
 لكن الصبر في مرحلة الدعوة يبقى هامشياً، بالنسبة لضرورة الصبر والحلم  
 كأخلاق عامة في مرحلة بناء الدولة، فقد لاقى موسى ﷺ من عنيت ومادية بني  
 إسرائيل الشيء الكثير، فمن طلبهم للمعجزات، إلى عبادتهم للعجل، ومن اتهمهم  
 للرسول بأنه لم يغير من حالهم شيئاً، فهم ليسوا أحسن حالاً عما كانوا عليه في  
 مرحلة الاستعباد، إلى عدم تلبيتهم لدعوة موسى ﷺ لدخول فلسطين، متذرعين  
 بوجود قوم جبارين، وفي هذا غاية الذل والجبن.

قال تعالى: ﴿قالوا أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا قال عسى ربكم  
 أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون﴾.<sup>(٢)</sup>  
 وقال تعالى: ﴿يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا  
 على أدباركم فتنقلبوا خاسرين﴾<sup>(٣)</sup> قالوا يا موسى إن فيها قوماً جبارين وإنا لن  
 ندخلها حتى يخرجوا منها..»<sup>(٤)</sup>.

لقد نفذ صبر موسى، بعد كل الجهود التي بذلها من أجل بناء جماعة ذات  
 أخلاق تتسم بالكرامة والحرية، ويبدو أن أخلاق بني إسرائيل لازالت مطبوعة  
 بطابع الاضطهاد والعبودية التي عاشوها في مرحلة الرق والاستعباد على يدي  
 فرعون.

أما خلق الحلم الذي تجلّى به الأنبياء والرسل جميعاً فقد تجلّى في الأناة  
 والتبئيت في الأمر، وما يلزم ذلك من ضبط للنفس وكظم للغیظ، وعفو عن  
 السيئة، وصفح عن الخطأ.. الخ.

لقد جاءت تجارب الأنبياء والرسل في علاقتهم مع الملوك ضمن نماذج قليلة

(١) سورة غافر: ٧٨.

(٢) سورة الأعراف: ١٢٩.

(٣) سورة المائدة: ٢١-٢٢.

للحكام تبين مشاهد من الحكم، فكانت تجربة إبراهيم عليه السلام مع ملك قومه، وتجربة موسى عليه السلام مع فرعون، وهما التجربتان الأكثر وروداً في القرآن الكريم، بالنسبة لغيرهم من الأنبياء والرسل. فقد غطت علاقة موسى عليه السلام مع فرعون مساحات واسعة من النص القرآني، «فموسى أكثر الأنبياء ذكراً في القرآن، لأنه ذكر (١٣٦) مرة، ثم يليه إبراهيم عليه السلام فقد ذكر (٦٩) مرة، أما نوح عليه السلام فقد ذكر (٤٣) مرة، ثم يوسف ولوط عليهما السلام فقد ذكرا (٢٧) مرة، ثم يأتي ذكر عيسى عليه السلام (٢٥) مرة، وسليمان عليه السلام يذكر (١٧) مرة، أما خاتم الأنبياء والمرسلين محمد عليه وآله، فقد ذكر (٤ مرات)»<sup>(١)</sup>.

فمن الأنبياء من كان ملكاً مثل داود وسليمان عليهما السلام، ومنهم من كان ربيب ملك كموسى عليه السلام، وأكثرهم كانوا من عامة الناس وأشرفهم حساباً. باستعراض دعوات الأنبياء في القرآن الكريم نجد أن أغلبهم لم يتجاوزوا مرحلة الدعوة، إلى مرحلة إقامة الدولة على أسس الدعوة، إلا دعوة محمد عليه الصلاة والسلام، التي كانت المثال الأوضح للانتقال الدعوة إلى إقامة الدولة في حياة الرسول، فكانت دولة العقيدة.

لكن ما هو الأسلوب الذي اتبعه الأنبياء والرسل في دعواتهم لأقوامهم؟ تميزت دعوة الأنبياء بسمات عامة، نجدها واضحة باستعراض بعض الآيات القرآنية التي تصف التجربة النبوية على مدار التاريخ الإنساني وسنرى في المباحث الآتية سمات دعوة الأنبياء.

<sup>(١)</sup> عبد الباقى، محمد فواد. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، (بيروت: دار احياء التراث العربى، [د.ت.])، صفحات متفرقة.

## المبحث الأول الدعوة إلى توحيد الله

لعل من أهم سمات دعوة الأنبياء، هي دعوة أقوامهم إلى توحيد الله، وعبادته، وتحطيم الأصنام، وعصيان المستكبرين المتألهين من البشر، ولهذا نشأ الصراع واشتد، بين الرسول، وبين الطغاة الظالمين، الذين هددت وزلزلت مراكزهم، وتعرضت مصالحهم للخطر. وكى يثبت الأنبياء والرسل صحة دعوتهم التوحيدية لجأوا إلى عدة براهين منها:

١- بطلان تعدد الآلهة: لقد كان الإنسان القديم يعبد الظواهر الطبيعية فيجعل الشمس إلهاً، وكذلك القمر، والنجوم، والرياح، والأنهار.. الخ. وذلك لعجزه عن تفسير حدوث هذه الظواهر التي كانت تلحق به ضرراً مادياً، وتثير فيه فزعاً نفسياً، مما جعله يعبدها، ويقدم لها القرابين البشرية، عسى أن ترحمه.

قال تعالى: ﴿و كذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين﴾ ﴿ فلما جن عليه الليل رأى كوكباً قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الآفلين﴾ ﴿ فلما رأى القمر بازغاً قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين﴾ ﴿ فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم إنني بريء مما تشركون﴾ ﴿ إنني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين﴾.<sup>(١)</sup>

(١) سورة الانعام: الآيات ٧٥-٧٩.

«ففي عصر إبراهيم وجدت عبادة القمر في مدينة (اور) بلد إبراهيم وكان يطلق على القمر اسم (نانار)، كما عبدت الشمس وأطلق عليها (شماس) كما وجدت عبادة الكواكب وأشهرها كوكب الزهرة أطلق عليها (عشتار) وكوكب المريخ (مردوخ)»<sup>(١)</sup>.

٢- لقد كان لتعدد الآلهة شكل آخر يتمثل في عبادة الأصنام، التي توارثها الأبناء عن الآباء، مقلدين ما وجدوا عليه آباؤهم، معطلين عقولهم عن الوصول إلى عبادة الله الواحد الأحد.

قال تعالى: ﴿ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين﴾ إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون ﴿قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين﴾ قال لقد كنتم أنتم وأبائكم في ضلال مبين ﴿قالوا أحسبنا بالحق أم أنت من اللاعين﴾ قال بل ربكم رب السموات والأرض الذي فطرهن وأنا على ذلكم من الشاهدين<sup>(٢)</sup>.

لعل من أهم ميزات دعوة الأنبياء والرسل لأقوامهم، كي يوحدوا الله، حضهم على أعمال العقل والفكر، وترك التقليد للآباء، وبذلك فهم يأملون من جيل الشباب استيعاب دعوتهم، أكثر مما يأملون قبول دعوتهم من قبل كبار السن، لأن هولاء من الصعوبة جداً أن يتراجعوا عن معتقداتهم التي أعطتهم شيئاً من الاستقرار النفسي على الرغم من عدم صوابيتها أحياناً، ودعوة الأنبياء والرسل هي من أجل المستقبل القريب والبعيد معاً.

وقوم هود ~~الذين~~ اتهموا نبيهم عندما دعاهم إلى التوحيد، بأنه مجنون أصابته بعض آلهتهم بسوء.

قال تعالى: ﴿قالوا يا هود ما جئنا ببينة وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك وما

<sup>(١)</sup> طبارة، عفيف عبد الفتاح، مع الأنبياء في القرآن، ط ٢ (بيروت: دار العلم للملايين، [د.ت]) ص: ١١٨.

<sup>(٢)</sup> سورة الأنبياء: ٥١-٥٦.

نحن لك بمؤمنين ﴿٥٤﴾ إن نقول إلا اعتراك بعض إلهتنا بسوء قال إني أشهد الله  
واشهدوا أنني بريء مما تشركون ﴿٥٥﴾<sup>(١)</sup>

أما قوم فرعون فدعوا إلى مكافحة دعوة موسى عليه السلام المفسدة في الأرض كما  
قالوا، لأنها لا تقول بالآلهة فرعون ولأنها ترى أن هناك إلهاً واحداً. قال تعالى:  
﴿وقال الملأ من قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض ويذرك وآلهتك  
قال سنقتل أبناءهم ونستحي نساءهم وإنا فوقهم قاهرون﴾<sup>(٢)</sup>

إلا أن الآخر الذي يقف في وجه دعوة الرسول لا يقبل إلا بإبادة صاحب  
الدعوة الموحدة، وبذلك يحاول الخلاص منه، لأنه لم يستطع أن يكسب الجولة مع  
الرسول، بالحجة والحوار، كيف لا؟ وهذه الدعوة تهدد مكانته ومركزه الذي  
وصل في بعض الأحيان إلى درجة التأليه.

قال تعالى: ﴿قال أفتعبدون من دون الله مالا ينفعكم شيئاً ولا يضركم ﴿٥٦﴾  
أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون ﴿٥٧﴾ قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم  
إن كنتم فاعلين﴾<sup>(٣)</sup>

ويضرب القرآن بفرعون مثلاً على ادعاء بعض الملوك الألوهية من خلال  
حواره مع موسى عليه السلام.

قال تعالى: ﴿قال فرعون ومبارب العالمين ﴿٥٨﴾ قال رب السموات والأرض  
وما بينهما إن كنتم موقنين ﴿٥٩﴾ قال لمن حوله ألا تستمعون ﴿٦٠﴾ قال ربكم ورب  
آبائكم الأولين ﴿٦١﴾ قال إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمحنون ﴿٦٢﴾ قال رب  
المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون ﴿٦٣﴾ قال لئن اتخذت إلهها غيري

(١) سورة هود: ٥٢، ٥٤.

(٢) سورة الأعراف: ١٢٧.

(٣) سورة الأنبياء: ٦٦-٦٨.

لأجعلنك من المسجونين).<sup>(١)</sup>

وفي تجربة مماثلة بين رسول وملك أدعى أنه يحيى ويميت، يتكرر ظهور الملك المتأله في التاريخ البشري.

قال تعالى: ﴿الم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه أن آتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربي الذي يحيى ويميت قال أنا أحيى وأميت، قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين).<sup>(٢)</sup>

لقد استمرت دعوة التوحيد عبر التاريخ الإنساني بدءاً من آدم عليه السلام حتى خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ في سلسلة متصلة الحلقات، محاولة إبعاد البشر عن الشرك، وعبادة آلهة متعددة من الكواكب والأصنام والأشخاص.

ومن هنا اعتبر الإسلام كغيره من الديانات السماوية أن الشرك هو عدوه الأول والأخير، لذا جاء محارباً للشرك على كافة مستوياته، لما لهذا الاعتقاد المنحرف من خطر على إنسانية الإنسان، وعلاقته بربه، وبأفراد جنسه.

قال تعالى: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضلّ ضلالاً بعيداً).<sup>(٣)</sup>

(١) سورة الشعراء: ٢٣-٢٩.

(٢) سورة البقرة: ٢٥٨.

(٣) سورة النساء: ١١٦.

## المبحث الثاني

### البلاغ المبين

لقد جرت سنة الله في خلقه أن لا يعاقب أحداً إلا بعد أن يبعث فيهم رسولاً. قال تعالى: ﴿.. وما كنا معذيين حتى نبعث رسولاً﴾.<sup>(١)</sup>

وعندما يرسل الله الرسل إلى البشر يقطع على المشركين طريق العذر. فلا حجة لهم يتذرعون بها بأن الله لم يوضح لهم طريق الهدى الذي يسرون عليه. قال تعالى: ﴿رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيماً﴾.<sup>(٢)</sup> أما الجماعة البشرية التي لم يصل إليها البلاغ فهي غير مكلفة بتعاليم الدين، وبذلك ارتبط التكليف بالبلاغ المبين، لكن من يقوم بمهمة البلاغ المبين؟

إن الرسل هم من اختارهم الله واصطفاهم لهذه المهمة الجليلة والخطيرة، ويقع على عاتقهم عبء هذه المسؤولية، فهم مأمورون من الله سبحانه وتعالى بتبليغ رسالاته، وتوعد الرحمن من يكتم الحق، ويقصر في أداء واجبه من الرسل، على الرغم من كل الصعوبات والمحن التي تعرضوا لها، لأن طريق إبلاغ الرسالات محفوظ بالمخاطر.

<sup>(١)</sup> سورة الاسراء: ١٥.

<sup>(٢)</sup> سورة النساء: ١٦٥.

قال تعالى: ﴿... وما على الرسول إلا البلاغ المبين﴾.<sup>(١)</sup>

ولا يكون البلاغ مبيناً، إلا إذا اتصف بوضوح المعنى، وقوة الحجّة ومنطقية الفكرة. أما وضوح المعنى فيتجلى في بعث الله سبحانه وتعالى للأنبياء والرسل كل بلسان قومه حتى يفقهوا قوله، من خلال الحوار اللفظي بين الرسول وقومه، بحيث لا تكون هناك ذريعة لهم بأنهم لم يفهموا كلام الرسول المتحدث إليهم بلغة أخرى، وهذا لو تم لمنع الاتصال بين الطرفين لصعوبته ولتعدّر إمكانية التواصل.

قال تعالى: ﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم فيفضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وهو العزيز الحكيم﴾.<sup>(٢)</sup>

مادامت مهمة الرسول محصورة في البلاغ المبين وعدم كتمان الحق، فلا لوم عليه إن لم يستجيبوا له بعد أن جعل خطابه إليهم واضحاً بليغاً، ولم يكتفم الحق مهملات من صعوبات في سبيل نشر العقيدة بأوضح صورها، وتاريخ الأنبياء والرسل حافل بصور شتى من هذا الأسلوب الدعوي فنتائج الدعوة من حيث الكم الاجتماعي ربما كانت معدومة، أو قليلة جداً، نظراً لزمّن الدعوة واستمرار الرسول بمهمة التبليغ، ومع ذلك لا بد من استمرار مهمة البلاغ المبين من قبل الرسل، فيأتي بعض الأنبياء والرسل ومعهم نفر قليل ممن آمن برسالتهم ودعوتهم إلى الله.

قال تعالى: ﴿.. فإن توليتم فاعلموا أنّما على رسولنا البلاغ المبين﴾.<sup>(٣)</sup>

لم يدخر الأنبياء جهداً في بيان دعوتهم بشكل واضح ومفهوم، إلا أن أقوامهم أصروا على كفرهم حتى أن قوم نوح عليه السلام، كانوا يضعون أصابعهم في آذانهم حتى لا يسمعوا كلام النبي الداعي إلى توحيد الله، وكانوا يوصون أبناءهم قبل موتهم بعدم إتباع نوح عليه السلام الذي دعاهم ليلاً ونهاراً، سراً وجهاراً، ولمدة

(١) سورة العنكبوت: ١٨.

(٢) سورة إبراهيم: ٤.

(٣) سورة المائدة: ٩٢.

(٩٥٠) عاماً. فرغم العناد والرفض والمجابهة بالقتل لم يلجأ إلى قتالهم، وإنما لجأ إلى الصبر، حتى ولو اتفقوا على قتله، لقد استنفذ الفرص معهم تماماً، لذا كانت دعوته عليهم بالدمار.

قال تعالى: ﴿قال ربي إنني دعوت قومي ليلاً ونهاراً ﴿١﴾ فلم يزدهم دعاءي إلا فراراً ﴿٢﴾ وأني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكباراً ﴿٣﴾ ثم إنني دعوتهم جهاراً ﴿٤﴾ ثم إنني أعلنت لهم وأسررت لهم إسراراً﴾. (١)

وقال تعالى: ﴿واتل عليهم نبأ نوح إذ قال لقومه يا قوم إن كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله فعلى الله توكلت فاجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمّة ثم اقبضوا إلي ولا تنتظروا﴾. (٢)

إن أكثر ما يجعل الدعوات وضوحاً، هو اعتمادها الحوار العقلي الذي يصل بالإنسان المفكر إلى الإيمان بوحداية الله، عقلاً وتديهياً، تفكيراً ناقداً، لا تقليداً لمعتقدات الآباء، لأن ليس كل ما عليه الآباء يكون بالضرورة سليماً ومنطقياً.

وعندما يتجاوز الإنسان الأصنام الفكرية - بعض معتقدات الآباء الخاطئة على كافة المستويات - يستطيع الوصول إلى الحقيقة، وهذا التعبيد للطريق بشكل شخصي يجعل الإنسان في مأمن من انحرافات الطريق ومفاجأته وبهذا طالبنا الله في مجال العقيدة.

قال تعالى: ﴿بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون ﴿١﴾ وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون ﴿٢﴾ قل أولو جنتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم

(١) سورة نوح: ٥-٩.

(٢) سورة يونس: ٧١.

قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون»<sup>(١)</sup>.

هكذا نجد في تصرف الطبقة المترفة المعادي لدعوة الأنبياء والرسل دليل على أن من يمثل هذه الطبقة لا يهتم بالانتماء الاجتماعي، بل همه الاستمرار والاستقرار في الوضع الراهن الذي يحقق مصالح هذه الطبقة ويحافظ على امتيازاتها.

لقد وصف الله تعالى إبراهيم عليه السلام بأنه حجة في بلاغه المبين. قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ...﴾<sup>(٢)</sup>.

لقد بدأ إبراهيم دعوته بأبيه صانع أصنام القوم، ثم بقومه، مبنياً زيف عبادتهم، وتابع دعوته بعمل حسي عندما حطم الأصنام، متهماً كبيرهم وفق حجة عقلية غاية في الإدانة لعبادة قومه وآلهتهم التي لم تستطع الدفاع عن نفسها. وبهذا العمل - تحطيم الأصنام - انتشر خبر إبراهيم في المملكة، مما جعل المواجهة مع الملك شيئاً لا بد منه. قال تعالى: ﴿وَإِذ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأبيه آزر أتتخذ أصناماً آلهة إنني أراك وقومك في ضلال مبين ﴿١﴾ وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين ﴿٢﴾ فلما جن عليه الليل رأى كوكباً قال هذا ربي فلما أفل قال لأحب الآفلين ﴿٣﴾ فلما رأى القمر بازغاً قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهديني ربي لأكون من القوم الظالمين ﴿٤﴾ فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم إنني بريء مما تشركون﴾<sup>(٣)</sup>.

وقال تعالى: ﴿ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه أن آتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربي الذي يحيي ويميت قال أنا أحيي وأميت قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم

(١) سورة الزمعر: ٢٢-٢٤.

(٢) سورة الانعام: ٨٣.

(٣) سورة الانعام: ٧٤-٧٨.

الظالمين).<sup>(١)</sup>

من خلال هذه الآيات نجد أن إبراهيم عليه السلام اعتمد في دعوته على التسلسل في النفي حتى توصل إلى اليقين، وذلك احتجاجاً لدينه، وتزييفاً لدين قومه أتى بالحجج على سبيل التدرج في الإلزام، لأن القوم كانوا يعبدون الأصنام ينحتونها على أسماء الكواكب والشمس والقمر ونحوها، فأراد أن يبين لهم أن الكواكب والشمس والقمر لاتصلح لأن تكون آلهة. ثم تتصاعد مستويات الحوار لتصل إلى أعلى مستوى سياسي في البلاد، وذلك مع الملك مباشرة، فكان الحوار الوارد ذكره في الآيات السالفة. ومن خلال الحوار استطاع إبراهيم عليه السلام أن يجر محاوره إلى نقطة لا عودة فيها، وقد أغلق عليه جميع الأبواب التي يمكن أن يفتحها.

فكانت حجج إبراهيم عليه السلام منطقية عقلية يسهل تصديقها، بينما كان الملك لا يملك إلا القوة والبطش بمعارضيه، مما جعله يجر كهما عندما خسر في ساحة الحوار العقلي مع خصمه إبراهيم عليه السلام، فأمر بإحراقه كي يتخلص منه، ويستقر له الحكم.

قال تعالى: ﴿قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين﴾.<sup>(٢)</sup>

وتبدو أهمية البلاغ المبين في تبليغ الدعوة في ماطلبه موسى عليه السلام من الله تعالى أن يشدد أزره بأخيه هارون لأنه أفصح منه لساناً، إذ كان يعاني من اعاقة في النطق، والبلاغ المبين يحتاج إلى شرح وتوضيح وحوار من أجل بيان طبيعة الرسالة، والعقيدة الجديدة. قال تعالى: ﴿وأخي هارون هو أفصح مني لساناً فأرسله معي ردياً يصدقني إني أخاف أن يكذبون﴾.<sup>(٣)</sup>

فالرسول مطالب بتابع أسلوب البلاغ المبين بالقول اللين والحكمة والموعظة

(١) سورة البقرة: ٢٥٨.

(٢) سورة الأنبياء: ٦٨.

(٣) سورة القصص: ٢٤.

الحسنة حتى لو كان الآخر رمز الظلم والاستبداد في التاريخ الانساني.

قال تعالى: ﴿إذهبوا إلى فرعون إنه طغى﴾ ﴿٤٣﴾ فقولاً له قولاً ليناً لعله يتذكر أو يحشئ. (١)

وقال تعالى: ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين﴾. (٢)  
لقد أثبتت التحارب الإنسانية عبر التاريخ أن الذي يرفع شعار الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن من أجل نشر مبادئه وعقيدته تكون العاقبة في صالحه.

لم يترك الأنبياء والرسل طريقة، أو وسيلة، في سبيل أداء مهمتهم في دعوة أقوامهم إلا اتبعوها لكنهم لم يجنوا إلا التكذيب، والاعراض، والاهمال. إلا أن عاقبة الأمر كانت في صالح الرسول وجماعته. قال تعالى: ﴿ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا...﴾. (٣)

(١) سورة طه: ٤٣، ٤٤.

(٢) سورة النحل: ١٢٥.

(٣) سورة الانعام: ٣٤.

## المبحث الثالث

### الصبر والحلم

الصبر والحلم من الأخلاق الواجب توفرها بشكل عام عند كل إنسان، وبشكل خاص عند من يقومون بمهمة الدعوة من أنبياء ورسل، أو من المصلحين.

«... فالصبر قوة خلقية من قوى الإرادة، تمكن الإنسان من ضبط نفسه لتحمل المتاعب، والمشقات، والآلام، وضبطهما عن الاندفاع بعوامل الضجر، والجزع، والسأم، والملل، والعجلة، والرعون، والغضب، والبطش، والخوف، والطمع، والأهواء، والشهوات، والفرائز...»<sup>(١)</sup>.

وعلى مثل هذا ربي رسول الله محمد ﷺ أصحابه في العهد المكي، ثم في العهد المدني، في مرحلة امتلاك القوة وبناء الدولة.

بالصبر وحده يتمكن الإنسان بطمأنينة وثبات أن يضع الأشياء في مواضعها، ويتصرف وفق مقاييس عقلية هادئة، بغير إندفاع أو تهور، لأن عدم الصبر يدفع إلى التسرع والعجلة، فيضع الإنسان الأشياء في غير مواضعها، ويتصرف برعون، فيخطيء في تحديد الزمان، ويسيء طريقة التنفيذ، فينقلب صاحب الحق، أو الساعي إلى الخير، إلى مخرب مفسد، ولو أعتصم بالصبر لسلم من كل ذلك. «فالصبر سلاح قوي يمكن صاحبه من إصلاح خصمه، أو الظفر به، وإنه أعظم

<sup>(١)</sup> المبداني، عبد الرحمن حنكة، الأخلاق الإسلامية (بيروت: دار القلم [د.ت.]، ج ٢، ص ١١٨.

خلق نفسي وضع موضع الابتلاء في ظروف هذه الحياة الدنيا»<sup>(١)</sup>.

لعل من سمات دعوة الأنبياء والرسل الهامة هي الصبر والحلم، فقد لاقوا ألواناً شتى من الصعوبات في سبيل نشر الدعوة، فقد صبر نوح على إيذاء وسخرية قومه مدة طويلة امتدت (٩٥٠) عاماً، فلم يعرف اليأس أو القنوط.

ولما لم يستجيبوا له بعد استفاد الفرص جميعها اضطر إلى الدعاء عليهم بالعذاب، عسى أن يطهر الله الأرض من المفسدين من أجل بناء جماعة موحدة مؤمنة جديدة.

قال تعالى: ﴿ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً فأخذهم الطوفان وهم ظالمون﴾ ﴿١٥﴾ فأنجيناه وأصحاب السفينة وجعلناها آية للعالمين﴾<sup>(٢)</sup>.

أما إبراهيم عليه السلام فقد ضرب مثلاً رائعاً في الصبر إذ تعرض من أجل دعوته التوحيدية للقذف في النار لحرقه، فصبر وأنجاه الله منها، ثم كان الطرد من الوطن ومعه زوجته وابن أخيه لوط، ثم الاستقرار بواد غير ذي زرع، ومافيه من شظف العيش، وقساوته، إلا أنه نال نتيجة صبره اجتهاء الله وإكرامه فصار أباً للأنبياء، وجعل الله في هذا المكان القاحل بيته الحرام.

فالصبر شعار الدعوة على مر الأيام، لأنهم لا ينتظرون نتيجة عملهم في القريب العاجل، وقد عبر عن ذلك رسول الله محمد عليه الصلاة والسلام، عندما أصابه العذاب في الطائف، فكان أمله أن يخرج من أصلاب هولاء المشركين من يوحد الله وعلى هذا الخلق العظيم تربي الصحابة، فمن يصبر على تحمل الأذى، يستطيع أن ينتصر على العواطف، والأهواء، فلا تتحكم في تصرفاته، لأن اتباع الحق في كل شيء هو الأولى.

(١) م. س. ن. ج ٢، ص ٢٩٥.

(٢) سورة العنكبوت: ١٤، ١٥.

قال تعالى: ﴿فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ولا تستعجل لهم كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار فهل يهلك إلا القوم الفاسقون﴾.<sup>(١)</sup>

---

<sup>(١)</sup> سورة الأحقاف: ٣٥.

## المبحث الرابع

### القواسم المشتركة في دعوة الرسل

يمكن ملاحظة الاستنتاجات التالية من خلال استعراض بعض قصص الرسل.

- ١- الدعوة إلى توحيد الله، وإبطال عبادة الكواكب والأوثان والأشخاص.
- ٢- اتباع أسلوب البلاغ المبين في الدعوة، فلم يكن لهم أي سلوك عنف مع خصومهم.
- ٣- لم يكن الأنبياء والرسل يسعون إلى مال أو جاه من وراء دعوتهم وكان سعيهم إلى خلاص الانسان من عبودية أخيه الانسان، وانقاذه مما لا يضر ولا ينفع من الأصنام، محتسبين أجرهم عند الله.
- ٤- لقد كان خصوم الأنبياء والرسل بشكل عام من المترفين، أصحاب المراكز الاجتماعية العليا، الذين هددت مصالحهم بدعوة الرسل إلى المساواة بين جميع الناس، غنيهم وفقيرهم، حاكمهم ومحكومهم، فلاتبقات، ولا امتيازات في ظل عقيدة التوحيد.
- ٥- إن أكثر اتباع الرسل من الفقراء والمستضعفين، لأن في دعوة الرسل، خلاصاً لهم من العبودية والذل والمهانة، وهذا لا ينفي وجود أفراد من الطبقات الاجتماعية العليا آمنوا بالرسل من أجل دعوة التوحيد.
- ٦- بقيت أغلب دعوات الرسل في مرحلة الدعوة، إلا دعوتي محمد وموسى عليهما السلام فقد انتقلت من الدعوة إلى إقامة الدولة.

- ٧- الصبر والحلم هما شعار الأنبياء والرسل في دعواتهم.
- ٨- اعتمد الأنبياء في عرض دعوتهم على الحجة، والمنطق، والحوار بينما استعمل خصومهم، القوة، والبطش، والارهاب.
- ٩- إن دعوة الرسل والأنبياء هي دعوة للعقل والتفكير، ورفض التقليد المتمثل بأفكار الآباء الضالة كعبادة الأصنام والكواكب التي فيها إهانة للعقل الإنساني.
- ١٠- لقد عانى الأنبياء والرسل الطرد من الوطن، والقتل، والسجن، والإيذاء الجسدي، فما من رسول إلا وأصابه شيء من هذه الأشياء، لأنهم بلغوا الرسالة لأقوامهم.
- ١١- لعل دعوة الرسل كانت متجهة نحو المستقبل أكثر من اللحظة الراهنة لإنها عنيت بخطاب الشباب، وبأمل التوحيد للأجيال القادمة.
- ١٢- عند استنفاد الفرص في دعوة القوم كان الأنبياء والرسل يدعون الله فينزل بأمرهم الكافرة العقاب الإلهي، لانقطاع الأمل في هذه الأقوام، ولتطهير الأرض منها، إلا محمداً فكان يدعو لهم ويعتذر عنهم قائلًا: اللهم أهد قومي فإنهم لا يعلمون.

obeikandi.com